قصة غرفة ٢٤

حسام الخطيب

كنت بغاية السعادة وأنا أسجل حضوري في استقبال المدينة الجامعية بالمنيا، هذه هي أولى خطوات استقلالي من مرحلة الإعتماد على الأسرة إلي الإعتماد على النفس، أشار لي حارس الأمن أن أذهب بحقائبي مبنى الزراعة لتسكيني في غرفتي،كانت تلك الأيام الأولى من سبتمبر وكنت متحمسًا لحياة الجامعة الجديدة بالنسبة لي.

تعجبت أن كل أسماء المباني السكنية كانت على أسماء حروف مثل باء وضاد وجيم أما المبنى الذي أرشدوني له كان يحمل اسم مبنى الزراعة، كان قديم نوعًا ما عن المباني الأخرى، لعله كان كلية الزراعة قديمًا.

لم يكن هناك حركة داخل المبنى؛ فقدرت أنني ربما أكون أول القادمين، من الجيد الوصول مبكرًا لترتيب نفسي واختيار سريري داخل الغرفة أولًا، استقبلني مشرف الطابق الذي سأسكن به، عرفني بنفسه ، اسمه (محمد رشاد) حياني بترحابٍ وسألني عن كليتي، أخبرته أنني في السنة الأولى بكلية السياحة والفنادق.

سلمني أشياء خاصة بي وهي غطاء للفراش ووسادة وكذلك بطانية ثم أرشدني إلى غرفتي، كان رقمها أربعة وعشرون، سألته هل هناك أحد أخر بالمبنى؟

أخبرني أنهم اثنان أو ثلاثة على الأكثر، وبعد أسبوعين ستضج المدينة بالحركة.

تحركت إلى غرفتي، كانت مفتوحة ولم يعطونا مفاتيح بل كانوا يعولون علينا أن نشتري قفلًا يوضع على باب كل غرفة، ليس هناك من مقاعد أو منضدة بالغرفة، ربما ينبغي أن أطلبها منهم، لم أهتم كثيرًا، وضعت ثيابي داخل الصوان المعدني وفرشت سريري، لاحظت أن الغطاء متسخ للغاية هناك بقع حمراء وصفراء غريبة، ربما يجب أن أشتري واحد جديد، ولكن الآن يجب أن أنام.

خلدت للنوم لأستيقظ على صوت دبيب قادم من أعلى، وكأن هناك أشخاص يحركون أشياءً في الطابق الأعلى، لابد أنهم طلاب جدد، قلت أتركهم قليلًا ربما ينتهون ولكن استمرت تلك الأصوات أكثر من نصف ساعة مما أعجزني عن النوم، قررت أن اذهب لتحيتهم، وربما أطلب منهم بأدبٍ أن يتوقفوا عن إصدار تلك الضجة.

صعدت للطابق الذي يعلوني ، تفحصت كل الحجرات، كلها فارغة، إذن من الذي يحدث تلك الأصوات؟ هل أصعد للطابق الثالث فأرى من هناك؟! لابأس ، أشعر بالتعب على كل حال، لأعود إلى غرفتي لآخذ قسطًا من الراحة.

رأيت قطًا أسود في طريقي إلى الأسفل، نظر لي من غير أن يتحرك ، من الجيد وجود قط في المكان فهذا يعني عدم وجود فئران، عدت إلى غرفتي، حاولت وضع الوسادة على أذناي حتى لا أسمع أو أشعر بشيء، ولكن بعد مرور خمس دقائق شعرت بطرقات خفيفة على الباب.

هل يكون الأستاذ (محمد) ؟ لقد أخبرني أنه يجب أن يمر لأخذ الحضور والغياب داخل السكن كل ليلة كجزءٍ من مهمته، ولكن الوقت مبكرًا على ذلك، أسرعت

لأفتح الباب، وجدت شابا يكبرني بسنوات لا ريب أنه يدرس بالسنة النهائية، غير حليق الذقن، ضخم الجثة بشكلٍ ملحوظ، نظر لي مبتسمًا وهو يقول:

- مرحبًا، أنا (حازم) زميلك في السكن ، بالغرفة المجاورة

شعرت بالإبتهاج أنني أتعرف على أصدقاء جدد وأنني لن أمكث وحيدًا في ذلك الطابق ، رحبت به ودعوته للدخول وأنا أشرع في إعداد قدحين من الشاي لنا، قال لي وهو يتخذ مكانه من الجلوس على الفراش الخالي:

- أتشرف بك.

- اسمي (أحمد خاطر).

- أهلًا وسهلًا، من أي محافظة؟

- من بني سويف، وأنت؟

- أنا من هنا.

فطنت أنه من المنيا، ربما هو من المدن البعيدة كدِير مواس وملوي؛ ولهذا يقطن المدينة الجامعية، سألته بسرعة:

- هل أنت في كلية السياحة والفنادق أيضًا

- لا، بل كنت أدرس في كلية طب الأسنان.

عجيب أنهم دعوه يسكن معنا وهو من طب أسنان، هم يسكنون في مبني (ج)عادة، وضعت كوب الشاب أمامه وأنا أتخذ مكاني علي الفراش المقابل، كان بالغرفة أربعة أسرَّة، إثنان علويان وأخران سفليان، قلت له وأنا أشير إلى الفراش الذي يجلس عليه

- عذرًا الفراش متسخ، به تلك البقع الغريبة، لا أعرف مصدرها؟

ابتسم وهو يقول:

- لا عليك، كل أغطية الفراش كذلك، حتى لو غسلت تبقى بها هذه البقع، هذه بقايا دم وأدوية سكبت عليها من قبل.

قلت له مندهشًا:

- وما الذي أتى بالدم والأدوية إلى مفارش المدينة الجامعية؟

نظر لي متعجبًا وهو يبتسم قائلًا:

- ألم يخبروك؟

- لا، لم يخبروني أي شيء!

- هذا المبنى كان مستشفى فيما سبق ،ولم يكن ضمن نطاق المدينة الجامعية، وفعليًا كل الغرف التي نعيش فيها هي غرف مرضى سابقين وأغطية الفراش تخصهم.

شعرت بالقرف وأنا انتوي في نفسي أن اشتري غطاءً جديدًا فورًا قبل أن أقل له:

- هل بغرفتك نفس البقع؟

- نعم ولكني تعودت عليها، ما لم أتعود عليه إلى الآن هو الأشباح!

فغرت فاهي وأنا أقل له:

- أية أشباح؟

ضحك وهو يقول:

- قلت لك المكان كان مستشفى سابق وبالتأكيد في كل غرفة مات شخص أو أكثر، ألا تسمع هذه الضجة التي تأتي من الطابق الذي يعلونا، هذه هي الأشباح

تحرك مائدة أو فراش من هنا إلى هناك، ولكن لا تخشى شيئًا معظمها أشباح مسالمة لن تحس بها حتى، الا لو ظهر لك (مصطفى)!

قلت له وأنا أنهض من فراشي لأجلس إلى جواره، وقد شعرت بالخوف الشديد:

- ومن (مصطفى) هذا؟

- هذا شبح مريض كان عنده انفصام بالشخصية، ومات هنا بعد أن طعنه والده بالسكين وهو يدافع عن نفسه من نوبات هياجه، يظهر للناس على شخصيات مختلفة، مرة يسمي نفسه (محمود) و مرة (علي) و أخرى (حازم) مرة (أحمد)، لكن يا ويلك لو ظهر لك وهو يسمي نفسه (عباس) سيكسر أثاث الغرفة كله فوق رأسك!

قلت له واجمًا:

- وهل تعلم إدارة المبنى بكل هذا؟

قال لي بلهجة الخبير:

- يعلمون ولكن ينكرون؟ هناك شاب أصابه صرع منذ أربع أعوام من هول ما رأى.

- يا ساتر!

- عمومًا لا تخف نحن بجوار بعضنا نشجع بعض، سأذهب الأن هل تريد أي شيء؟!

- لا شكرًا، ولكنك لم تشرب الشاي!

- أنا لا أحب الشاي، تعال لدي يومًا ما وسأدعوك على قهوة تركي.

ودعته نحو الباب و أنا أغلقه بإحكامٍ، شعرت بالخوف يسري في كامل جسدي من فروة رأسي إلى أخمص قدماي، لا أستطيع البقاء في الحجرة لوحدي وسط تلك الظروف ، ربما أذهب للأستاذ (محمد) وأطلب منه أن ينقلني إلى غرفة (حازم) أفضل.

شعرت بطرقاتٍ أخرى على الباب، قمت لأفتح بسرعة لأستطلع من القادم؟!

وجدت (حازم) واقفًا بالباب، وهو ينظر لي غاضبًا وقد ضاق حاجباه حتى التصقا ببعضهما، لم أفهم سبب غضبه إلا حينما صرخ في بصوت قوي:

- أنا (عباس).